تفريغ محاضرة:

لماذا نتحجب؟

رواء الاثنين | د. هند القحطاني

١٣-١-١٤٤٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

محور هذا الحديث هو **سؤال يراود الكثيرات**، فيه من الصراحة الكثير، وفيه إجابات لكل من تركت حجابها، أو نقابها، أو من فكرت في نزع الحجاب، حتى التي ترتديه بقلب مهزوز، أو بيد مرتبكة، أو من تخالجها مشاعر عدم مناسبة هذا اللباس لها، وهو حديث لتلك الثابتة والملتزمة به أيضا، ولتلك الممتلئة بالعزة به، التي قد تظن أنها لا تحتاج لهذا الكلام.

دعونا اليوم **كفتيات ونساء نراجع أنفسنا مع هذه العبودية الخاصة بنا**، أعتقد أن في أذهاننا أسباب تجعلنا غير متقبلين لسماع أي حديث يدور عن هذا الموضوع، أولها ما تحدث به الكثيرات نفسها، وهو إجبار الأهل فتقول: لم ألبسه على قناعة مني، أو ارتديته صغيرة واعتدت عليه، أو أني نشأت في بيئة نساؤها محجبات فلم يكن لي خيار، أو ارتديته بتأثير الضغط الأسري.

الحقيقة يمر الجميع بهذه الفكرة بشكل أو بآخر، فلم يختر أحدنا الذهاب للمدرسة، أجبرنا على الاستيقاظ عند السادسة صباحا فكنا ننزع من الفراش نزعا، من ينسى العذاب الذي كنا نلاقيه عند تفريش الأسنان؟ **هل خلقنا نحب ونعتاد هذا الأمر؟ أم أجبرنا على فعله؟** أيقظونا لصلاة الفجر وكان فيها شيء من المشقة، وكنا نتساءل لماذا نقوم ونصلي؟ هناك أشياء لم نعيها وقتها، فهذا دور المربي وهو تعليم الصواب من الخطأ، ومساعدتك على إخراج أحسن ما فيك. فلما قام بتعليمك أن الصدق خير، والكذب شر، علمك على استحالة الكذب وقول الحق مهما كلف الأمر، فحينما واجهك موقف وكان منك الكذب فعوقبت، ارتبط بذهنك أن عاقبته إلى شر.

ولما علمك أن السرقة فعل مشين، وعندما ذهبت في زيارة وحاولت أخذ لعبة، فكان العقاب ينتظر، وحدثك بإرجاعها والاعتذار. هذه كله من التربية على الفضيلة والخير والعفة والستر، والحجاب لم يكن بأقل، فعلمونا على الستر أيضا،

من منا في عمر السادسة عشر كانت ستختار وضع الحجاب والنقاب، ودرجات الحرارة تلتهب في الخارج، والفتيات من صديقاتها يداعب النسيم شعورهن، ويلفح الهواء وجوههن، فكان دور المربي أن يربي إلى أن تكون في موضع أخذ القرار والاختيار.

كبرت وأحسست بالمسؤولية وأنه يجب اتخاذ قراراتك بنفسك لا يمكن أن تكبر أبدا في نظر القلب الذي أحبك، فلا يمكن لأب أن يرضى عن سُكر ابنه ولو أصبح ابنه في عقده الخمسين، سيظل الأب المحب الناصح لابنه الصغير، ولا يمكن لأم أن تعيش بهناء وهي ترى ابنتها في طريق الخطأ، ولو كانت أعظم العظيمات ومن أكابر الناس، ستكبرين على الجميع إلا القلب الذي أحبك مذ كنت طفلة، على القلب الذي لن يعيش براحة إن خطر في باله أن طريقك يوصلك لنار جهنم.

هذا السبب الذي يتحججون به فيه نوع من الإزاحة، يسمونها الإزاحة النفسية، لعدم اتخاذها قرار يشبع رغبتها، فكان القرار للمربي، بغض النظر عن صحة الأسلوب ومثالية النمط التربوي.

السبب الثاني الذي يمكن أن يجول في الأذهان، هو أن حجابنا ليس الحجاب الذي أمرنا الله به، ممكن أن تقول إحداهن: طريقة حجابنا في بلدنا هنا عادة، وليس ما فرضه الله علينا، **هل الحجاب عادة أم عبادة؟** هل الحجاب الذي اعتدناه هو الصحيح؟ أم أن هناك نوعا آخر؟

سندخل في صلب الموضوع بقلب مفتوح، و نأتمر فيه بأمر الله عز وجل، وسنة نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-.

ارجعوا معي إلى الوراء، أربعة عشر قرنا، وانسوا أننا في سنة 2023 وحضارتها، وأبنيتها، ومشاريعها الضخمة، دعونا ندخل بيت النبوة مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي جاء بالآيات وهذا الشرع ليكون خاتمة الشرائع، ويكون نافذا إلى قيام الساعة، هذا النبي الرحمة المهداة، الذي نفديه بأبنائنا، وآبائنا، وأمهاتنا، الذي لو تكلمنا عن الرحمة التي جاء بها، تلك التي وسعت حتى البهائم والطيور والنباتات،

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنّ النبي- صلى الله عليه وسلم- ((**كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَوْ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا قَالَ إِنْ شِئْتُمْ فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ. قَالَ كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا**))() فهذه النخلة لما بكت حينما جعلوا له منبرا، لم يتجاهلها النبي- صلى الله عليه وسلم- بل قطع خطبته وهمّ إليها، فما زال يهدهدها حتى هدأت من رحمته عليه الصلاة والسلام.

وعن عبد الله بن جعفرٍ، قال: ((**أَرْدفَني رسولُ الله -صلَّى الله عليه وسلم- خلفَه ذاتَ يومٍ، فأسرَّ إليَّ حديثاً لا أُحدِّث به أحداً من الناس، وكان أحبُّ ما استتر به رسولُ الله -صلَّى الله عليه وسلم- لحاجته هَدَفاً أو حائشَ نخلٍ، قال: فدخل حائطاً لرجلٍ من الأنصار، فإذا جملٌ، فلما رأى النبي -صلَّى الله عليه وسلم- حَنَّ وذَرَفَت عيناه، فأتاه النبيُّ -صلَّى الله عليه وسلم- فمسح ذِفْراه فسكتَ، فقال: "من ربُّ هذا الجملِ؟ لمن هذا الجملُ؟ " فجاء فتًى من الأنصارِ، فقال: لي يا رسول الله، قال أفلا تتقي اللهَ في هذه البهيمةِ التي مَلَّكَكَ اللهُ إياها، فإنه شكا إليَّ أنك تُجيعُه وتُدْئبه**))() فهذه الناقة تشتكي له -صلى الله عليه وسلم- جوعها، **<u>تلك رحمته بالحيوان فكيف هي رحمته بالإنسان؟</u>**

فلذلك الشريعة التي أنزلت له لم تضييق على أحد، ولم تنزل ليعذب بها أحد، حاشا والله هو الذي أوحى إليه، وهو الأرحم بالخلق من أي أحد، فحينما نريد أن نحتكم نرجع دوما لما تلاه الرسول- صلى الله عليه وسلم- علينا، قال الله عز وجل عنه:

(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** ۖ)(الأنفال، 24)

لماذا الكتاب والسنة؟ لأنها الأصح، لأن كلام غيره مدخول فيه، حتى هذا الدرس على عكس كلام الله الواضح، أحيانا تكون المشكلة في مكان الفلترة، فعند رؤيتي من نافذة تراكمت عليها الأتربة والغبار، هل ستكون الصورة خلفها كما في نافذة نظيفة؟

هل سيوضح لي صفاء الجو من عدمه؟ فهذا الران المتراكم على القلب يجعل الحقيقة غير واضحة لك، **فكلما كان الإنسان خاليا من الذنب، مقللا منه، كانت الهداية إليه أقرب، والتوفيق إليه أسرع، وكل ما كان ذلك الران المتراكم على القلب أكثر، كلما كانت الهداية لقلبه أصعب، والصورة الصحيحة أبعد عن التقبل**، فدعونا ننزع هذا الركام قليلا ونرى الموضوع دون أي أفكار مسبقة، وقناعات قديمة، دعونا نسمع بقلب صاف متجرد، لا تدعي واقعك من عمل يفرض عليك الخروج بصورة معينة، ولا في جامعة تقيد فيها الأعراف شكلك، ولا بيئة ومجتمع له صورة نمطية عن الحجاب، أن يحجب عنك الحقيقة، دعونا نجيء المدينة، ونسمع من النبي- صلى الله عليه وسلم- ماذا قال وقت التنزيل، ماذا قال في الحجاب الذي أمرنا الله به.

منذ عهد النبوة إلى قبل مئة سنة فقط، لم يعرف عن امرأة مسلمة حرة تكشف عن وجهها، لم يعرف إلى القرن الثالث عشر عن هذا، ابحثوا عن مسلمات الصين وطاجيكستان والأندلس، والذين هاجروا إلى أمريكا الجنوبية عندما هُجرت المسلمات الأسبانيات، ابحثوا عن صور حجابهم، حتى ما نقول عنه حجاب بلاد الشام ومصر وبلدان المغرب العربي، لم يكن قبل القرن الثالث عشر امرأة مسلمة حرة في أي قطر إسلامي تكشف وجهها،

فما يحدث الآن هو بدعة من الزمان، وما نتلكم عنه شيء ضارب في الزمن لم يأتنا من أيام دعوة محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله- بل هو أصل فينا من عهد النبوة إلى قبل مئة عام فقط، فهذا رمزنا وشريعتنا، ولم يبدأ هذه التخلي إلا بعد الاستعمار وحركات التحرير، يقول أحد المنصرين:" **نحن لن نفرح إن نصّرنا المسلمين، لكن لو حولناهم إلى كائنات بلا دين فهذا هو النصر الحقيقي**"،

عليك كشابة وكفتاة مسلمة أن تغاري على أصلك، وعلى تاريخك، ودينك، وهويتك، **يريدون تغيير هويتك وجعلك كائنا شفافا، هلاميا ينزلق مع أي تغيير!!** ، يضعونك في البرازيل تتماشين مع ما هم عليه، في نيويورك تصبحين من ملتهم، **وإن وضعوك في أي مكان أمسيت بلا روح!** ، ولا أصل، وهذا هو لب عملهم، ولذلك البدايات تأتي دائما بسيطة، في مسائل خلافية، فيقولون اختلف العلماء في الكشف عن الوجه، سنقوم بتحرير المسألة،

صاروا ينبشون في الكتب عن أي شيء يثير الخلافات، حتى نتزعزع،

سابقا في أمم قبلنا كان الخلاف على الوجه، حتى وصلوا إلى البحر دون لباس، كانت حركة التحرير لهدى شعراوي في بدايتها عن لثام الوجه، لا عن منابت شعر ولا غيرها، وتراكمت السنين حتى نزلت البحر دون رادع.

قال الله عز وجل:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ**)(النساء،59) فحينما يصبح الخلاف دورنا كمسلمين أن نرد الأمر إلى الله والرسول، وهذا ما ينبغي علينا فعله اليوم، ونعرف كيف نزلت الآيات، يقولون لا تتبع رأي الأكثرية ولا تكن تحت ضغوط المجتمع، والحاصل الآن أن هذه الدعوات هي الأكثرية، قال الله عنهم:(**وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**)(الأنعام، 116) وقال الله عز وجل:(**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**)(يوسف، 103)

رؤيتك لغيرك وأنك الوحيدة بينهم على حق، ملتزمة بالحجاب، هذه الوحدة هي الحق، كما كان يقول أحد السلف:**<u>" الجماعة هي الحق" ولكن هل ما أنت عليه هو الذي يريده الله منا؟</u>** هل كوني الأحسن بين الخطائين فأنا محسنة؟ الله عز وجل يقول لآدم يوم القيامة في حديث <u>أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ</u>- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى يَا آدَمُ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ قَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ {وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ}** ... الحديث))()

تخيلي أنك تنظرين يوم القيامة فتجدين أنك من التسعمائة والتسع والتسعين!!!، ولذلك لا تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله.

<u>ما هو المقصود بالحجاب؟</u> هو لباس المرأة عند الرجال الأجانب، ولم يرد الحجاب في القرآن بمعنى اللباس، بل جاءت لفظة الحجاب بمعنى الحاجب والساتر، قال الله تعالى عن مريم- عليها السلام- :(**فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ**

حِجَابًا) (مريم،17) مريم عليها السلام كانت متحجبة، واتخذت من دونهم حاجبًا حسيًا، وقال: (**حتى توارت بالحجاب**) عن خيل سليمان،

توارت في الحجاب في مكان لا يرونه بها، فكان الحجاب في اللغة هو **ما يحجب زينة المرأة ومفاتنها عن الرجال الأجانب**، هذا بشكل عام.

من هم الرجال الأجانب؟ هو أي رجل ليس بزوج أو محرم، والمحارم هم الأخوال، والأعمام، والإخوان، كل شخص يحرم الزواج منه، قال تعالى:(**إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ**)(النور، 31) إذن كل رجل في مكتب العمل هو رجل أجنبي، وكل رجل في الشارع هو رجل أجنبي، الحمو أخو الزوج رجل أجنبي، وأبناء العمومة أجانب.

شريعة الحجاب التي سنتكلم عنها هي ليست بدعة جاء بها الإسلام فقط، بل **كانت موجودة لدى الأمم السابقة، اليهودية والنصرانية، ولم يكن فقط حجابا للشعر، بل كان غطاء للوجه قبل التحرر**، ومن أراد الاستزادة فليقرأ في كتاب " الحجاب شريعة ربانية" لسامي العامري، والذي أخذ الدكتوراة في المقارنة بين الأديان، وكان قد قرأ صحف التوراة والإنجيل وترجمتها السبعة، وقام بجمع اللفظات التي جاءت بالحجاب، **ووجد أن الكلام في الحجاب جاء بقصد النقاب وهو غطاء الوجه، سواء عند اليهود أو النصارى**، ولم يصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بعد التحريف، ولذلك هناك بقية قليلة من الراهبات يتحجبون، وإذا دققت النظر لاحظت أن صور مريم التي يضعونها في كنائسهم، وتعالت مريم- عليها السلام- عن ذلك، تجدها متحجبة وترتدي جلبابا، فلما حرفت اليهود والنصارى دينهم، أنزل الله الإسلام الدين الباقي إلى قيام الساعة،

فنحن في شرف حمل هذا الدين، خاتم الأديان،

فيجب علينا أن نبقى متمسكين بشريعته،

نحمل رايته لما بعدنا من الأجيال،

فكيف سيكون الجيل القادم وكيف سيصل له هذا الدين، إن لم نحمل على عاتقنا هذه المسؤولية، و نتخذ هذا القرار،

ولذلك يقول النبي- صلى الله عليه وسلم- في حديث أنس- رضي الله عنه-: ((**مثل أمتي مثل المطر، لا يُدرى أوله خير أم آخره**))()،

وعَنْ معاوية رضي الله عنه قَالَ: سمعت النبي يقول: ((**لا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ**))()

سنتكلم اليوم عن الآيات الأولى التي نزلت في الحجاب، أحدها في سورة النور، والأخرى في سورة الأحزاب، و سأورد دليلين آخرين لكي لا يتشعب الموضوع ويطول، لكن هذه الأربعة أدلة يجب أن نسمعها بقلبنا

الدليل الأول:

يقول الله عز وجل في سورة الأحزاب:(**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**)(الأحزاب،59)

في السنة الخامسة من الهجرة نزلت هذه الآية، أي إن هناك ثلاثة عشر سنة في مكة لم ينزل فيها أمر بالحجاب، وخمس منها فيها غزوة بدر وغزوة أحد، وصار بها أحداث كثيرة عاصرتها الصحابيات ولم ينزل الأمر بالحجاب وقتها، تقول عائشة- رضي الله عنها-:" **كانت نساء العرب على عادة العرب ذاك الزمان، فلا توجد في بيوتهم كنف (أي دورات مياه) فكانت النساء تخرج ليلا إلى المتبرز، فيذهبون لقضاء حاجتهم في مكان خارج المدينة، فكان الفساق يكمنون للنساء، (أي يعرفون أن هذا وقت خروجهم مثلا بعد المغرب من الساعة السابعة أو الثامنة) فيخرجون من بيوتهن أفواجًا وجماعات إلى ذلك المكان، فيجلس فساق اليهود والنصارى والمنافقين، ويرمون الكلام على هؤلاء النسوة،(كأنه تحرش، تحرش لفظي) فإذا صرخت المرأة بقومها، (عندما يؤذيها أحد) يأتي قومها، فكان الفاسق يقول: لم أكن أعلم أنها حرة، كنت أظنها أمة**" فيتحج بعدم معرفته أنها من نسوة قبيلة ما، وظنه أنها أحد الإماء أو الخدم فنزلت هذه الآية.

نزلت الآية بأمر على أزواج النبي -عليه الصلاة والسلام- وهم عائشة وصفية وجويرية وأمهات المؤمنين جميعهم -رضي الله عنهن- وبناته الموجودات حينها فاطمة -رضي الله عنها- ونساء المؤمنين مثل أسماء بنت أبي بكر، وأم سلمة وأم سليم وغيرهن من نساء الصحابة، وأنا وأنت وهي وبناتنا المؤمنات إلى قيام الساعة، فكلنا ندخل في هذا اللفظ نساء المؤمنين، قل لهن أن يدنين عليهن من جلابيبهن، **والإدناء ما يكون إلا من الأعلى إلى الأسفل**، فما يكون عكس ذلك أبدا، وجلابيبهن مفردها جلباب، **والجلباب الملحفة والإزار**، **أو الثوب الذي يجلل المرأة من رأسها إلى أخمص قدميها**، فتخيلوا ما هذا الشيء، اتركوا العباية والنقابات والحجابات، تخيلوا أننا في زمن الرسول -صلى الله عليه وسلم- الجلباب هو شيء مثل الإزار، مثل البشت الكبير، يجلل المرأة، يجلل الشخص كله من رأسها إلى أخمص قدميها،

قال ابن عباس لما سئل، وهو ترجمان القران، ولقب بهذا لأنه كان يبحث عن الآيات وتفاسيرها آية آية، وكان يقول: "**لو أن أحدا أعلم مني بتفسير آية، يضرب لها أكباد الإبل لذهبت إليها**" فلم يوجد في كوكب الأرض في ذلك الوقت، زمن ابن عباس، أحد أعلم منه بالقران، فسئل عن الإدناء، فقال: "**أمر الله المؤمنات أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبدين عينا واحدة للطريق**" ولا عجب من هذا المنظر الذي قد تتعجب منه، فلو اطلعت على بعض الصور في تطبيقات مثل جوجل أو بنترست، وبحثت عن نساء المكسيك والبيرو وغيرها، سترى أن هناك نساءً لم يكنّ مسلمات، ولا زلن يحتفلن باحتفالات يستخدمن فيها نفس اللباس من إدناء الحجاب، وإظهار عين واحدة، موجودة تلك الصور الكرتونية وفي المخطوطات التاريخية، وكان هذا لباس الشريفات والطبقة الأروستقراطية عندهم، لأن المسلمات حين أتين من أسبانيا، كن يلبسن هذا اللباس، فهم ظنوا أن هذا لباس الأغنياء، ففي ذلك الوقت لم يكنّ مسلمات ولكن كان هذا لباسهن، وحينما **نسأل لماذا تخرج عين واحدة**، **لأنها لو أخرجت عينيها كشف وجهها، ولم يكن هناك النقاب في بداية التنزيل، لم يكن لديهم إلا الجلابيب، لذلك لا تلبس المحرمة النقاب**

وهذا نزل في السنة التاسعة.

يقول محمد بن سيرين، أحد علماء المسلمين: "**سألت عبيد السلم وهو أحد شيوخه، عن قول الله:(يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ) فأخذ ثوبا وغطى وجهه، وأبدى عينه اليسرى**".

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ:((**لَمَّا نَزَلَتْ{يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ}** [الأحزاب: 59]، **خَرَجَ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِهِنَّ الْغِرْبَانَ مِنَ الْأَكْسِيَةِ**))() فكانت هيئة المشي كأن طيرا على رؤوسهن من إجلال واحترام الأكسية التي يلبسنها.

وتقول عائشة -رضي الله عنها- :((**يَرْحَمُ اللهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلَ، لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} شَقَقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا**))() والمرط هو ما كان يوضع على الخيام أو في المجالس.

فحينما نريد أن نتعلم عن الحجاب، نتعلم باللغة التي نزل بها القرآن، فلا أسمع لمفكر إسلامي يؤلف أي كلام من عنده، بل علينا أخذها كما فعل الصحابة، وكما قالها النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول أبو بكر الجصاص، وهو مالكي: "**وهذا دليل على أن المرأة الشابة، تستر نفسها عند الخروج ،وأمرت بالعفة حتى لا يطمع بها أهل الريب**".

ذلك أدنى أن لا يعرفن فلا يؤذين، لا يعرفن أنهن حرائر محصنات، فانظر إلى قول الله تعالى **"فلا يؤذين" لا يوجد أرق ولا ألطف ولا أحن من هذه الإجابة على تساؤلاتنا، هل الحجاب واجب؟** ولماذا يأمرنا الله بالحجاب؟ تلك الأصوات في داخلنا التي لم تسلم، لن يخفض ضجيجها إلا قوله تعالى "فلا يؤذين" الله لا يريد أن تؤذي، يعلم أن سيرك و أنت مكشوفة يؤذيك، حتى وإن كابرت، تلك النظرات تؤذيك، تؤذيك وكأنها خناجر، ونحن كنساء أرق من أن نتحمل تلك النظرة، أو ذاك التحرش بكل أنواعه، فلا حاجة لذكر قوانين التحرش والأنظمة، إذا كان الله عز وجل يعطينا من البداية قوله :(**ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**) (الأحزاب، 59)

ولاحظي أن هذا ليس من صالح الرجل، أنه لن يؤذى كما يقولون، بل الرجال من أشد المعارضين على حجاب المرأة، لأنه سيحرم من الجمال، ومن النظر إليه، تأملي رجلا يعمل مع نساء محجبات منتقبات، وآخر يعمل مع كاشفات مثل الورود، فأيهم أسعد؟ فقال الله حماية لك، وليس الأذى أنه اعتداء أو اغتصاب فقط، وأن الناس أصبحت بهائم وحيوانات، لا حتى النظرة الأولى والكلمة الأولى.

كنت مرة أقف مع زميلة لي، وكنا نقف مع مقاول للإشراف على مشروع، وهذا الرجل كان يتحدث، ولم ينظر لي لأني شفافة بالنسبة له، فكلي سوداء وكأني جدار أسود، فأصبحت أنا والجدار سواء، فكان ينظر لصديقتي المحجبة، وكنت أنظر إليها ثم أنظر إليه، **وإذا به ينظر إليها من فوق حتى قدميها!!**، وهي تتجاهل تلك النظرات، في حين أنه لم يكن ينظر إلى ما تحدثه عنه وتشير إليه، فأجرى عملية مسح على جسدها بالكامل، لم تكن ابنتي ولا اختي، ولا أنا زوج وهي زوجتي، وثارت كل خلية في جسدي حمية لها، فأخذتها بيدي ووضعتها خلفي وقلت: كلمني أنا، فلم يعجبه، وأما صديقتي ففهمت وأشادت بما فعلت.

فنحن لا نتحدث عن اعتداء، وهذه غيرة امرأة على امرأة، ولكني ثرت حمية لها، فكيف بالله عز وجل يغار من فوق سبع سماوات، الله يغار حين تؤتى محارمه، فلا تتخيلي أنك شيء هين، فإذا كنت تستخفين من غيرة أب أو أخ، فاعرفي أن الله يغار من فوق سبع سماوات على وجهك القمر.

لا تظني أن الأمر عادي، حينما تسيرين فيراك أحد، بل الأرض تحتك ترتجف وأي أرض تقلني وأي سماء تظلني وأنا أسير في معصية الله، فأنت لا تعيشين حياة عادية، فالله ينظر إليك من فوق سبع سماوات ويغار على محارمه أن تنتهك.

ولعلكم سمعتم عن المغنية الايرلندية، التي مرت بقصة طويلة من الاكتئاب، ونوبات الحزن، والهستيريا، وتعاطي المخدرات، إلى أن هداها الله للإسلام، **و تحجبت حجابا جيدا، وقالت:" لم أجد السكينة في حياتي إلا به"** الشاهد من هذا أني وجدت لها مقطع فيديو قبل أن تسلم، خرجت وهي باكية منهارة، وتقول: "أنا وحيدة، أنا أشعر أني لم أجد السعادة في مكان، أشعر أني مؤذية في كل مكان" لاحظي كل تلك الشهرة، وتلك الحفلات لم تسعدها، لأن الإيذاء حاصل، **فلا يوجد أحد أرحم بك من ربك**، ولذلك لما وجدت الإسلام قالت وجدت السكينة،

فمهما بحثت عن السعادة فلن تجديها إلا في الشيء الذي وضعه الله، فوالله لا يوجد جواب لسؤالك "لماذا الله أمرنا بالحجاب؟ " أرق ولا ألطف ولا أرحم من هذا الجواب (**ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**) (الأحزاب، 59)

إحدى الفتيات تعمل في شركة أرامكو في أحد الأماكن المختلطة، تقول:" **حين أحضر اجتماعا، لا أستطيع وضع رجل على رجل إلا التفت من بجانبي، ولو ارتفع جزء من العباءة لنظر أحدهم**"، وهذا ليس لأنه إنسان سيء، بل هي الطبيعة البشرية بين الرجل والمرأة.

عندما نزلت هذه الآية، لم يعرف من بين الصحابيات ولا من نساء الأنصار، أن واحدة استفهمت معنى الآية، أو كيفية هذا الحجاب الذي أمرن به، حتى إنهن خرجن بعدها لصلاة الفجر وكن جميعا متحجبات بغطاء الوجه، وإذا سأل أحدهم عن حديث الخثعميّة عن عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : " **بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: إِنِّي تَصَدَّقْتُ عَلَى أُمِّي بِجَارِيَةٍ، وَإِنَّهَا مَاتَتْ قَالَ: فَقَالَ: وَجَبَ أَجْرُكِ، وَرَدَّهَا عَلَيْكِ الْمِيرَاثُ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ كَانَ عَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ أَفَأَصُومُ عَنْهَا؟ قَالَ: صُومِي عَنْهَا قَالَتْ: إِنَّهَا لَمْ تَحُجَّ قَطُّ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: حُجِّي عَنْهَا**"()

قصة سبيعة بنت الحارث الأسلمية في الحديث الذي يرويه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: كتب أبي إلى عمر بن عبد الله بن الأرقم الزهري: يأمره أن يدخل على سبيعة بنت الحارث الأسلمية، فيسألها عن حديثها، وعن ما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استفتته.

فكتب عمر بن عبد الله بن الأرقم، إلى عبد الله بن عتبة، يخبره أن سبيعة بنت الحارث أخبرته: أنها كانت تحت سعد ابن خولة، وهو من بني عامر بن لؤي، وكان ممن شهد بدرا، فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل، فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تعلت من نفاسها، تجملت للخطاب، فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك، رجل من بني عبد الدار، فقال لها: ما لي أراك تجملت للخطاب، ترجين النكاح؟ ... الحديث)() فهذا حديث له نقاش خارج سياقنا، والعلماء ردوا عليه في الكتب.

فما وردت عن صحابية أنها كشفت وجهها إلا قبل مئة سنة من الآن، يقول الله ولا تبرجن، كانت نساء العرب تغطي شعرها وتبدي زينتها، وكانت عائشة -رضي الله عنها- تقول:" **كانت المرأة في الجاهلية تضع خمارها وراءها**"، أي مثل المسلسلات الدينية، تضع المرأة وشاحا مربوطا من الأعلى وترميه خلفها، كما نقول عنه وشاح أندلسي، فقالت عائشة عنهن:" **كن يضعن خمرهن ثم يردينه خلفهن، ويكون نحرها وشعرها وصدرها باديا**"

ففكرة غطاء الرأس هذه كانت موجودة عند العرب، ولكن لم يشددنه، وهذا ما سماه الله في الآية بالتبرج، قال تعالى:(**ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى**) إذن صفة الحجاب هذه كانت موجودة قبل نزول الأمر بالحجاب، فالأمر كان بزيادة الغطاء، وهو أن تغطي المرأة وجهها، وكانوا عند العرب يهجون في قصائدهم النسوة حاسرات الوجوه، وهجوا القبيلة التي تتشبه نساؤها بالإماء.

الدليل الثاني:

في سورة النور يقول الله عز وجل:(**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**(31))

<u>ابتدأت الآية بأمر نساء المؤمنين بغض البصر</u>، و الآية التي قبلها قال الله تعالى فيها:(**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**) (النور، 30) تحاكي الرجال، فالآيتين أمر فيها بغض البصر، <u>فلا يجوز للمرأة أن تطيل النظر، وتدقق في التفاصيل، وأيضا هذا للرجل، ولكن غض البصر للرجال في حقهم أوجب</u>، فلا يجوز له أن يحد النظر، حتى لو كانت المرأة كاملة الحجاب، ولا يرى منها شيء، حتى النظرة الأولى يجب أن يغض فيها بصره، لأن نفسه ستسول له قراءة ما وراء هذا الحجاب، (**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا** ۖ) فلا يبدين أي زينة ممكن أن تفتن الرجل، إلا ماظهر منها الذي استثناه الله عز وجل، فما يظهر للرجل من طول وقصر، ونحف وسمن، هذا يظهر من الخارج غالبا حتى مع ارتداء أكثف العباءات، وما ظهر منها من كشف مع هبوب الريح، والله يعفو عما كان من غير قصد،

ومن يناقش في قول ابن عباس في تفسيره "إلا ما ظهر منها" بقوله أنها الكحل والخاتم والوجه، فقد قال السيوطي -رحمه الله- في تفسير مقصد ابن العباس:" **أن هذه الزينة الظاهرة في الوجه والكحل والخاتم، تظهرها لمحارمها في بيتها، أما الخلخال والمعضد، فهذه لا تظهر إلا للزوج**" والمعضد نوع من الأساور يوضع قريب من الكتف.

عن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: ((**لما نزلت {يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ} خَرَجَ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِنَّ الْغِرْبَانَ مِنَ الْأَكْسِيَةِ**))()

وعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: ((**كُنَّ نِسَاءُ الْمُؤْمِنَاتِ، يَشْهَدْنَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الْفَجْرِ، مُتَلَفِّعَاتٍ بِمُرُوطِهِنَّ، ثُمَّ يَنْقَلِبْنَ إِلَى بُيُوتِهِنَّ حِينَ يَقْضِينَ الصَّلَاةَ لَا يَعْرِفُهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْغَلَسِ**))() فلا يُعرفن أبدا من الخارج، وأسأل الله أن يرينا هذه الأيام في بناتنا ونساءنا.

لما نقرأ هذه الأحاديث، ونسمع تلك الآيات، يجب أن تكون لدينا قناعة تامة بالحكم، لأن الله أنزلها، ولأنه الحكيم، ولأنها موجودة في كتابه، أنزلها لمصلحتنا، لئلا نؤذى، فلا نحتاج للخوض في فهمها، والبحث عن سبل للاقتناع بها، وهي صالحة حتى قيام الساعة، فالرسول كان على علم بما سيحدث في زماننا، وكان على علم بعلامات الساعة الصغرى، وهي تحدث الآن، وكان يقول كما في الحديث: «**سيأتي على الناس سنوات خداعات، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة» ، قيل: وما الرويبضة؟ قال: «الرجل التافه في أمر العامة**»()، فهو يعلم أن امتثال هذه الأوامر فيه نجاة البشر.

وفي حديث أم سلمة لما قالت من أكسية سود يلبسنها، فيه إشارة للون الذي كانوا يلبسونه، **فكانت ألوانا غامقة، ليست زينة في نفسها**، ففي السعودية اللون الغالب للحجاب اللون الأسود، والذي يحجب زينة المرأة ويغطيها، ولكن في مجتمعات يسود فيها التبرج وتكثر النساء الغير متحجبات، فلبس الألوان الغامقة من كحلي أو بني وهذه الألوان التي ليس زينة في نفسها فلا حرج في ذلك،
وهذا جائز طالما أنها ألوان ساترة، ولكن اعتماد الألوان التي تناسب لون البشرة، أو الألوان الصيفية والألوان الشتوية وغيرها، فهذا لا يجوز، لأن فيه زينة في نفسه، الحجاب يجب أن يستر الزينة، لا أن يكون زينة في نفسه،

نحن النساء بطبعنا نحب تزيين كل شيء، ولكن هذه العباءة لله، ليست لك، البسي ما شئت، ولكن الثوب الأخير الظاهر يجب أن يكون ساترا، يجب أن يكون ادناء من فوق إلى تحت لا يوضح أي شيء،

عَنِ ابْنِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، أَنَّ أَبَاهُ أُسَامَةَ، قَالَ: ((**كَسَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبْطِيَّةً كَثِيفَةً كَانَتْ مِمَّا أَهْدَاهَا دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ، فَكَسَوْتُهَا امْرَأَتِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا لَكَ لَمْ تَلْبَسِ الْقُبْطِيَّةَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَسَوْتُهَا امْرَأَتِي. فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مُرْهَا فَلْتَجْعَلْ تَحْتَهَا غِلَالَةً، إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَصِفَ حَجْمَ عِظَامِهَا**))()

والادناء أن لا يصف ولا يوضح حركة مشيك، وانحناء خصرك، وحجم الصدر وغيرها، عندما ترتدين الحجاب همك أكبر من نظرة رجل ماذا سيقول عن حجابي، أو رأي صديقات برشاقتي، فعندما ترتدين الحجاب انظري لعين الله، لا لعين أحد سواه، لذلك من الشروط أن يكون كثيفا ليس رقيقا أو زينة في نفسه.

(ۖ **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ**) ، ضربت الكسوة على الكعبة، أي وضعت من الأعلى، ثم تضرب الكسوة فتنزل وتسدل على جدرانها، وهذا يحدث عند تغيير الكسوة و اسدالها ، فهذا هو الإدناء والضرب الذي يرفد الدليل في قوله تعالى وليضربن بخمرهن على جيوبهن، **والجيب هو فتحة الرقبة والرأس**، فتضرب، **والضرب التغطية من الأعلى إلى الأسفل بالخمر، والخمار هو الغطاء**، يقال خمرت العجينة، أي قمت بتغطيتها، حتى الخمر سمي لأنه يغطي على العقل، فغطت بالخمار الجيب، و هو فتحة الرأس والرقبة،

ثم يقول الله تعالى:(**وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ**) فلا تضرب بالخلخال لئلا يصدر صوت فيعلم السامع أنها متزينة،

والآية هنا تدل على عدة أمور:

أولا: ليعلم ما يخفين، فالخلخال مخفي أصلا، وهذا يدل على طول الحجاب الذي يخفي هذا الموضع، فلا يكون قصيرا.

ثانيا: لن يرعي الرجل سمعه لخلخال لو كان الوجه مكشوفا، فالأحرى كان أن ينظر لما كشف عنه، لكن لما خفي أصبح مهتما لكل ما يصدر منها، فسمع صوت الخلخال وضرب الكعوب.

فالله عز وجل حينما نهى عن الإتيان بهذه التفاصيل ليحميك من الأذى، ابحثي في حالات التحرش التي تحصل من أساتذة جامعة أكسفورد في أمريكا لطالباتهم المعيدات، وما فيها من ابتزاز، الله يعلم ما سيحصل، لذلك أمرك بالحجاب حتى يحميك، وذلك من لطفه ورحمته.

وأما الدليل الثالث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عنهما- قَالَ :قَامَ رَجُلٌ فَقَالَ:((**يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَاذَا تَأْمُرُنَا أَنْ نَلْبَسَ مِنَ الثِّيَابِ فِي الْإِحْرَامِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم:(لا تَلْبَسُوا الْقَمِيصَ، وَلَا السَّرَاوِيلَاتِ، وَلَا الْعَمَائِمَ، وَلَا الْبَرَانِسَ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ لَيْسَتْ لَهُ نَعْلَانِ فَلْيَلْبَسْ الْخُفَّيْنِ، وَلْيَقْطَعْ أَسْفَلَ مِنَ الكعبين، ولا تلبسوا شيئا مسه الزعفران وَلَا الْوَرْسُ، وَلَا تَنْتَقِبْ الْمَرْأَةُ الْمُحْرِمَةُ، وَلَا تَلْبَسْ الْقُفَّازَيْنِ))**()

في الحديث أخبر الرسول -صلى الله عليه وسلم- صحابته بمجموعة من الألبسة التي يحظر عليهم ارتداؤها عند الإحرام، فلا سراويل ولا قمصان ولا عمائم ولا برانس، واستدلوا بهذا على حظر ارتداء المخيط،

أما النساء فقال: (لا تنتقب)، أي لا تلبس النقاب ولا القفازين، وهذا كان في حجة الوداع في العام التاسع للهجرة، يعني بعد أربع سنين من الأمر بالحجاب، ففي هذه الخمس سنوات كانوا قد طوروا من ألبسة الحجاب، و كيفوها مع طريقة حياتهم، فاخترعوا النقاب والقفاز، **فعندما أمرهم بنزعها، هذا دليل على وجوبها في غير هذا الوقت**، وهذا رد على من قال أن هذا دليل على جواز كشف الوجه،

فلما نزع الرجال سراويلهم وقمصانهم، هل مشوا عاريين، لا بل ارتدوا الإحرام، **وكذلك المرأة فتغطي وجهها دون أن يكون مخيطا**، **فالعموم في الإحرام ألا يرتدي المرأة والرجل شيئا فيه تفصيل على الجسد**،

وليس فيه نعومة أو إرفاه، وذلك لمقتضى الإحرام، حتى إنه في بعض الروايات كانت الصحابيات -رضوان الله عليهن- **يضعن زرا في آخر أكمامهن حتى لا تنكشف أيديهن**، وعن فاطمة بنت المنذر -رحمها الله- قالت: ((**كنا نخمر وجوهنا، ونحن محرمات مع أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما**))((خمروا) أي غطوا وجوههم من فوق إلى تحت، و حين جاوزن الرجال يكشفن بهذه السهولة وهؤلاء تابعيات وصحابيات لم يقلن أن تلك الأحكام خاصة بأمهات المؤمنين كما تقول بنات اليوم والله المستعان،

إذن شرع الله هذا الحجاب حتى لا تؤذي، ولنلتزم به لأنه أمر الله، قال تعالى: (**ولا تزكوا أنفسكم**) (النجم، 32) ولو كنا نريد لنفوسنا أن تزكوا فلا بد لنا أن نأتمر بأمر الله عز وجل.

الله عدل عادل، فحينما أمرنا نحن بالحجاب، أوكل للرجال أيضا مهام كثيرة، أمرهم بالجهاد، والجمعة، وأمرهم بالنفقة والمهر، أمرهم بالصلاة بالمسجد، و بأشياء كثيرة، ولم يقل رجل يوما لماذا علي فعل هذا، كما تفعل بعض نساء اليوم، لأن هذا يُنقص من رجولته، ومن يفعل هذا مشكوك في أمره، فأنتِ أمرتِ بالحجاب وغيرها مما اختص الله به النساء، والرجال أمروا بما هو ميسر لهم و لما خلقوا له.

وقد تأتي أخرى وتقول:" قد تكون الصحابيات قد التزمن زيادة، و غلوا في حجابهن، فهذا الحجاب ليس الذي أمرنا به، وإنما زيادة منهن"، وهذا خطأ، لأنه لا يمكن لأحد من الصحابة أن يخطئ في عصر التنزيل، فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه يقول: ((**جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم-، يسألون عن عبادة النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي**- صلى الله عليه وسلم- **؟ قد غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فقال:(أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله أني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني))**()

فكان النبي -عليه الصلاة والسلام- لا يسمح بالتطرف في الدين، أو أن يكون أحد من الصحابة قد فهم شيئًا ما بشكل خاطئ، بل الله عزوجل كان يعاتب الرسول من فوق سبع سماوات إذا أخطأ، كما نزل في سورة عبس، قال تعالى: (**عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى**)(عبس، 1,2) فعاتب الله نبيه على عبوسه في وجه الأعمى، ولم يعطه ما كان يسعى إليه من العلم، إذا لا يمكن للخطأ أن يرد في زمانهم،

ويقول النبي -عليه الصلاة والسلام- : ((**من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة: ((فقالت أم سلمة فكيف يصنع النساء بذيولهن؟ قال: يرخينه شبرًا قالت إذن تنكشف أقدامهن. قال: يرخينه ذراعًا ولا يزدن عليه))**)()

كانت ثيابهم ذاك الزمن لها ذيول طويلة، ولحقنا على بعض جداتنا اللاتي كانت ثيابهن تسحب من ورائهن، وذلك لأنهن كن يركبن الخيول، والدواب، وفوق الشجر، و يحرثن، فكانت طويلة لئلا تكشف أقدامهن، وما كان لديهن الجوارب أنذاك، فقالت أم سلمة مستفسرة أن ثيابنا طويلة، فكيف نصنع، فسمح لها بمقدار شبر، قالت يا رسول الله تنكشف، قال ذراعا ولا يزدن عليه، ما تركها لهواها، وضع الرسول عليه أفضل الصلوات الضوابط لكل شيء، فلا يوجد مكان لقول أن الصحابيات كن متشددات وتركهم الرسول على حالهن، بل وضع ضابطا يضبط سؤالاتهن والشكوك التي تعتريهن.

<u>وأخيرا نسأل هل هناك اختلاف في حكم الحجاب؟</u>

الجواب كما جاء في كتب الفقه، **<u>فقد أجمع العلماء من جميع المذاهب الأربعة</u>**، المالكية والشافعية والحنفية والحنابلة، **<u>على أن تغطية الوجه للمرأة الحرة الشابة عند خوف الفتنة بها واجب</u>**، خاصة عند من يطلقون أبصارهم إليها، ولا تحترز منهم إلا بتغطية وجهها، **فأجمعوا على وجوب التغطية، واختلفوا فقط في سبب التغطية، وليس في النتيجة.**

فكان إجماعهم على وجوب تغطية وجه المرأة الشابة عند الفتنة، وزمننا الآن زمن الفتنة، والمرأة تعتد بصغر سنها وجمالها بكل شيء، إلا في موضوع الحجاب تجحد كل ذلك.

الإمام الجويني وهو من كبار الشافعية يقول:" **اتفق المسلمون على منع النساء أن يخرجن كاشفات وجوههن، لأن النظر مظنة الفتنة**" وقال النووي - رحمه الله- وهو من كبار الشافعية أيضا:" **يحرم أن ينظر الرجل البالغ العاقل إلى وجه المرأة الأجنبية وكفيها، عند خوف الفتنة، و عند أمن الفتنة، على الصحيح**.

فعند النووي الوجوب في كلا الحالتين، عند خوف الفتنة وأمنها، وأقل الفتنة أن يرى أحدهم فتاة ويعجب بها ويتزوجها، وقد يقول قائل:" أن هناك رجال على ثقة" صحيح، ولكن الله ركب هذا المركب بين الذكر والأنثى، وجعل هذا الانجذاب، **وهذه طبيعة بشرية فطرية ليست معيبة أو خاطئة**، أو بهيمية، فطرة الله التي فطر الناس عليها، لكنها يجب أن تقنن، يقول أبو بكر الجصاص وأبو بكر العربي، وهؤلاء من المالكية:" **المرأة كلها عورة، جسدها وصوتها، ولا يجوز لها الكشف إلا لحاجة أو ضرورة، كدائن في بدنها أو شهادة**"

ويقول ابن حجر، وهو يثني على نساء نابلس:" **لا أراهن إلا من الجمعة للجمعة، وكن يخرجن مستترات**" وأبو حيان من علماء الأندلس يقول:" **وكذا عادة نساء الأندلس، لا يخرج منهن إلا عين واحدة**" وهذه في الأندلس عصر الترف والغنى.

وكان من المعلوم بالضرورة سابقا، أن المرأة لا تخرج إلا وهي مستترة، ولذلك لم يؤلف كتاب واحد في حجاب المرأة، ولم يؤلف فصل في كتب الحديث عن الحجاب، ما كان هذا الشيء قابلا للنقاش، وليس موجودا، فأين الكلام الذي نقرأه أن المرأة كلها عورة إلا وجهها وكفيها ، أخرجوها من كتب الصلاة، من قول الإمام الشافعي في كتاب الصلاة:" **قال المرأة عورة في الصلاة إلا وجهها وكفيها**" فلذلك حين نصلي نحن النساء نغطي كل شيء عدا الوجه والكفين، وهذه عورة الصلاة فقط، لكن عند الشافعية والمالكية، أنه إذا مر بهم رجل وهي تصلي فتغطي وجهها، على الأكثر منهم، لأن الحجاب أقوى من ذلك.

هذه الأقوال التي نسمعها من الأئمة في موضوع الحجاب، يجب أن نعرف في أي موضوع قيلت، وفي أي كتاب وردت، في كتب الصلاة، أو في كتب الشهادات، فقيل في كتاب الشهادات:(**أن المرأة إذا جاءت لتشهد عند القاضي، وأراد القاضي أن يتحقق منها، أو لشهود أنها هي السارقة، أو القاتلة، فيجب عليها كشف وجهها**)، قالوا لأن وجهها عورة نظر، لا عورة ستر، عورة نظر معناها أنه يجوز لها في وقت الضرورة أن تكشفها،

فلاحظوا هذا النقاش العميق والمفصل لعورتها عند القاضي، هذا يؤصل أن المرأة بالأصل تغطي وجهها، أما الحنابلة الذين وصفوا بالشدة، فكانوا يقولون أنها عورة ستر، بمعنى أنها تسترها بكل الحالات، فكما أن الفخذ عورة، فالوجه عورة، سواء كانت جميلة أم ذميمة، وأما عند الشافعية والمالكية فإذا كانت المرأة شوهاء، أو ذميمة، وأمنت الفتنة، أو كانت من القواعد من النساء، جاز لها أن تكشف، وشوهاء يعني وجهها ملفوف محروق، أو فيها جدري أو شيء يجعل الناس لا تستطيع رؤيتها، ففي هذه الحالة يجوز لها الكشف،

والقواعد من النساء ماذا قال الله عز وجل بهم؟ آخر إحصائية للأمم المتحدة أن فئة الشباب تنتهيي في عمر الخامسة والسبعين، ومن الستة والسبعين إلى عمر التسعين مرحلة الكهولة، واليوم ما عاد يعرف الشابة من العجوز، تأتي واحدة في السبعين تبدو أصغر سنا من ذات الأربعين، القواعد من النساء هن اللاتي تقرمطت جلودهن، فما عاد ينفع معها لا شد ولا علاج، حتى الأسنان والفم انكمشت إلى الداخل، فهؤلاء اللاتي قال الله عز وجل فيهن :

(**وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) (النور، 60) يعني حتى العجوز حينما تضع الكحل وعلى شفاهها المتبقية، لا يجوز لها الكشف، لقول الله(غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ)، حتى وهي متقرمطة طلب الله منهن العفاف، لذلك ترين الجدات وكبيرات السن حينما يطلب منهن الكشف بالحر والحرم، ترفض خوفا على سترها أكثر من بنات اليوم،

لأن من شب على شيء شاب عليه، فيقول الل عز وجل لهؤلاء، وللكل، لو بقيت بحجابك إلى أن تلقين الله عز وجل فهذا خير لك عنده.

هناك عدة نصائح لاختيار الحجاب:

1. أن يكون **ساترا لجميع البدن**، فما هو بجاكيت، ولا شيء يلف على الجسم، يجب أن يكون ساترا من فوق إلى تحت، يستر ما بين الصدر والأكتاف، ولا يوضح النحل من الامتلاء في الزند.
وضعي في بالك أنك لن تدخلي بحجابك هذا مسابقة جمال، أو عرض أزياء، ولا حاجة للفت انتباه الرجل في الشارع، أو البائع، ومجموعة الشباب في المقهى، أو زميلك في العمل.
اخرجي بتباه أن حجابي وستري لله، لا لأحد، ومن أرضى الله بسخط الناس، رضي الله عنه وأرضى عليه الناس، وإن كرهوك وعادوك سيأتي الله بقلوبهم إليك، قال أحدهم:" **قلب من توجهت إليه في يد من أعرضت عنه**"، وما يجوز ليديك وقدميك أن تظهر.

2. أن يكون **قماشه ثخينا لا يشف ما تحته**، فلا يكون أنعم الأقمشة، يتحرك مع هبوب الهواء، فيصف جسدك، ولا يكون خيشة، ولكن يجب أن يكون قماشا واقفا فيه نوع من السماكة.

3. أن يكون **فضفاضا غير ضيق**، فالحزام فوق العباءة، أو لفها وهي واسعة، هذا لا يجوز.

4. **ألا تكون زينة في نفسها**، مثل اللون الوردي والبنفسجي والأبيض، انتبهي.

5. **ألا يكون مطيبا**، فالبخور والطيب لا يقبل الله بهما صلاة، وهذا نوع من أنواع الزنا،

يقول النبي- صلى الله عليه وسلم- في حديث أبي هريرة:((لَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ وَجَدَ مِنْهَا رِيحَ الطِّيبِ يَنْفَحُ، وَلِذَيْلِهَا إِعْصَارٌ، فَقَالَ: يَا أَمَةَ الْجَبَّارِ، جِئْتِ مِنَ الْمَسْجِدِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: وَلَهُ تَطَيَّبْتِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ حِبِّي أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ لِامْرَأَةٍ تَطَيَّبَتْ لِهَذَا الْمَسْجِدِ، حَتَّى تَرْجِعَ فَتَغْتَسِلَ غُسْلَهَا مِنَ الجَنَابَةِ قَالَ أَبُو دَاوُدَ: الْإِعْصَارُ غُبَار))()

يا أخواتي لما نتخذ مثل هذا القرار، بالتأكيد هذا قرار صعب وفيه تنازلات كثيرة، كلنا نحب تولي المناصب والظهور والمكانة العالية، لكن الموضوع فيه معادلات كثيرة، **ضعي جميع هذه الأمور في كفة، ومراد الله وحبه في كفة أخرى، من الذي يستحق؟** أنت ستقررين، ومن الذي سيبقى لك؟ لا أحد إلا الله عز وجل، ولا أحد يستحق أن تؤثريه على الله،

ولذلك ماذا يعني لو كسبنا كل الدنيا، وخسرنا الله، كسبت حب الجميع، وخسرت حب الله؟ أين السلام والسكينة والطمأنينة التي تتوقعينها؟ والله لن تجديها،

يقول ابن القيم -رحمه الله-: **"إن في القلب شعثًا لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفة الله، وصدق معاملته، و قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه، وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره، ونهيه، وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك، إلى وقت لقائه، وفيه طلب شديد لا يقف، إلا أن يكون وحده هو المطلوب (طلب على الدنيا لا يقف عنه إلا أن يكون الله هو المطلوب الأول) وفيه حاجة لا يسدها إلا محبته، ودوام ذكره، والإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها، لم تسد تلك الفاقة أبدا "**

هذه الكلمة النورانية لابن القيم، هي من أعظم الكلمات التي تصف حالنا، فلا يؤنس القلب إلا الإقبال على الله، وإلا لماذا نبيع هذه الدنيا كلها من أجل الله عز وجل.

ولذلك سؤالي الأخير من الذي تتأخرين عنه؟

تتأخرين عن الله؟ عن الذي أحبك، عن الذي يفرح بتوبتك، أشد من فرح الرجل الذي أضاع دابته ثم رجعت إليه، وهذه القصة الطويلة التي **تشرح حب الله لعبده، وفرحة الله بعبده**، الله لا يريد منك أي شيء، ولا تزيده طاعتك له أي شيء، لكن الله يفرح لك أنت، لأن الله لا يحب أن يعذب أحدا، قال الله عز وجل: ((**مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ**)) (النساء، 147) وفي القصة عاتب أحدهم إنسانا بعيدا عن الله عز وجل، قال له:" **هب أنك لا تخاف ويحك ألا تشتاق ؟**"

ودعنا بالأمس إحدى أخواتنا- رحمة الله عليها- نحسبها من الصالحات والله حسيبها، من الكلمات التي سمعتها من إحدى صديقاتها، وأثرت فيّ، قالت:**" فطمت نفسها عن الدنيا وهي تقدر"** ، فكانت قادرة على حيازة الدنيا، لكنها اختارت ما عند الله بقرار مبكر، ولم تنتظر مرضًا أو عجزا، قال تعالى:((**مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**)) (الأحزاب، 23)

فهو عهد بينك وبين الله عز وجل، وقرار أنت من يتخذه، قد تتخذيه في عمر صغير، أو أيا كان ليس مهما، إنما المهم ألا يكون قرار حماسة، بل قرارًا عن العمر كله، لا يرتك في لحظة من اللحظات، أو أن يكون رهينة ضغط المجتمع، فلا أحد يعرف متى ستنتهي الحياة، الحياة سريعة وقصيرة، أقصر من أن نضيعها بجرأة على الله ومعصيته.

من الكتب التي أنصحكم بقراءتها، كتاب "الحجاب الشرعي والفطرة، بين الدليل والقول الدخيل" فيه الكثير من التأصيلات، و كتاب "هل يكذب التاريخ" لمن أراد أن يعرف تطور الحجاب.

أسأل الله أن يلهمني وإياكم قرارا حاسما يرضيه، وأن يلهمنا رشدنا، وأن يقينا شر أنفسنا، هذا والحمد لله رب العالمين، والصلاة على سيد المرسلين.

* تنويه: مادة المحاضرة جُمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات المكتوبة في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد ؛ إنما تمّت إعادة صياغتها لتناسب القرّاء وبما لا يخل بروح المحاضرة ومعانيها.